المحاضرة الأولى تعريف الحجاج

تمهيد

عرف الحجاج عودة قويّة، بعد فترة ركود دامت عدّة قرون، مع تطوّر الدرس اللساني التداولي، فنظريّة الحجاج الحديثة، التي ولّدتها جهود مجموعة من الباحثين **كبيرلمان وديكرو**، ليست وليدة اليوم، بل هي تعميق للجدل والخطابة اليونانيين، وإعادة بعث للإرث الأرسطي على الخصوص، مع تجديد وتطوير شامل، يتماشى والطبيعة الفكرية والثقافية للإنسان المعاصر.

وقد كان للعرب باع طويل في هذه التطوّرات، تجلّى في ممارستهم للحجاج بمهارة كبيرة أوجدها منهج القرآن الكريم في الدّعوة إلى الدّين الجديد، وغذّتها كثرة المذاهب والفرق الدينيّة والسياسيّة، التي نشأت في الحضارة الإسلامية لاحقا، فمارسوا الحجاج في جميع نشاطاتهم الثقافيّة والدينيّة، ومطيّتهم في ذلك البلاغة والبيان، وقوّة اللّغة مستفيدين من الثقافات المجاورة كالمنطق اليوناني والأدب الفارسي وغيرهما. وتجسّد ذلك عندهم في المناظرات الكلامية الّتي نشأت تحت رعاية الطبقات السياسيّة والدّينيّة.

ولا زالت نظرية الحجاج إلى اليوم تشقّ طريقها في تطور متزايد، نظرا لما تكتسيه من أهميّة؛ إذ أنّها تؤدي وظيفة جوهريّة في اللّغة، فلا يكاد يخلو منها أيّ خطاب، لذلك فهي تكتسح مجالات مختلفة وتشمل معظم الخطابات: السياسية، الدينية، الاجتماعية، الإعلامية، والأدبية، وغيرها.

1-تعريف الحجاج:

أ-الحجاج في اللغة:

-**في المعاجم العربية:** الحجاج مصدر من مادّة (ح ج ج) ورد في كتاب العين: «حجّ علينا فلان أي قدِم. والحجّ كثرة القصد إلى من يُعظَّم... والمحجَّة قارعة الطريق الواضح، والحُجّة وجه الظفر عند الخصومة».

وفي لسان العرب «الحجّ القصد... حاججته أحاجُّه حِجاجا ومُحاجّة حتّى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والتحاجّ التخاصم».

ويضيف المعجم الوسيط « حاجّه محاجّةً وحجاجا جادله، عارضه مستنكرا فِعلَه، تحاجّوا تجادلوا ...المحجاج الذي يكثر الجدل».

فمعنى الحجاج في اللغة القصد، الجدل، المجادلة، الخصام، والنّزاع الذي تكون الغلبة فيه لصاحب الحجج الأقوى، لان الحجّة تُقصد للظفر عند الخصومة.

-**في المعاجم الغربية:** يقابل مصطلح الحجاج في اللّغات اللاتينية

(Argumentation)، وقد أُخذت كلمة (Argument) من الجذر (Arguere) والذي يعني جعل الشيء لامعاً واضحاً وظاهراً.. فمثلا جاء في معجم "**لاروس**" الفرنسي أنّ معنى (Argumentation) هو فعل المحاجّة، ومجموع الحجج، كما تعني مجموع التقنيات الخطابية التي ترمي إلى إثارة المستمع، أو إلى زيادة درجة اندماجه في الموضوع الذي يعرض عليه.

أمّا في اللّغة الانجليزية الحديثة فقد أورد **قاموس لونجمان** (longman) الذي يحمل عنوان: "dictionary of contemporary English" أنّ هذه اللّفظة تشير إلى «وجود اختلاف بين طرفين ومحاولة كلّ واحد منهما إقناع الآخر بوجهة نظره من خلال تقديم الأسباب والعلل التي يراها حجّة مدعّمة أو دافعة لفكرة أو رأي أو سلوك».

وبهذا يتّضح لنا أنّ معنى الحجاج في المعاجم الغربية، لا يختلف كثيرا عنه في نظيرتها العربية، في الدّلالة على استعمال الحجّة في دعم رأي المتكلّم أو دحض رأي المخاطَب، أو حمله على تغيير رأيه.

2 -الحجاج في الاصطلاح:

يعرّف **شايم برلمان** (Chaim Perelman) (ت1984م) **ولوسي تيتيكا** (Lucie Tyteca)(ت1987م) الحجاج بقولهما: «موضوع الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدّي بالأذهان إلى التّسليم» وقد ركّزا على موضوع الحجاج وهو دراسة التقنيات التي تجعل الخطاب يؤثر في أذهان المتلقين.

والحجاج في نظرهما جملة من الأساليب والتقنيات الخطابية التي يقصد منها غاية تتمثل في جعل العقول تذعن لما يُعرض عليها أو على الأقل زيادة درجة هذا الإذعان.

ويعرفه **ميشال ماير(Michel Meyer)** على انه جهدا إقناعيا (إفحاميا)، ويعتبر البعد الحجاجي بعدا جوهريا في اللّغة لكون كلّ خطاب يسعى إلى إقناع من يتوجّه إليه.

ونلاحظ أنّ هذا التعريف يشترك مع سابقه في القصد إلى التأثير على الغير، إلاّ أنّه يضيف شيئا جديدا يتمثل في كون الحجاج بعدا جوهريا في اللغة ذاتها، فيكون الحجاج بذلك بعدا ملازما لكل خطاب على الإطلاق.

ويعرّف **لالاند** (André La lande) (ت1963م) الحجاج في موسوعته الفلسفية بأنّه:

مسرد حجج تنزع كلها إلى الخلاصة ذاتها او طريقة عرض الحجج وترتيبها.

ونلاحظ في هذا التعريف اهتماما بالحجج وبطريقة عرضها، فالحجاج مجموعة حجج تخدم كلّها نتيجة واحدة، أو توصل إليها، كما أنّه الطريقة التي تُعرض بها هذه الحجج، وكيفية ترتيبها، ولم يشر في تعريفه للإقناع أو التأثير في الآخر.

أمّا **أندرسن** (Andersen) (ت2008م) و**دوفر**(Dover) فيعرّفان الحجاج بأنه: طريقة لاستخدام التحليل العقلي والدعاوى المنطقية، وغرضها حلّ المنازعات والصراعات واتخاذ قرارات محكمة، والتأثير في وجهات النظر والسلوك.

وتجدر الإشارة إلى أنّ اختلاف العلماء في تعريف الحجاج يعود في الأصل إلى الاختلاف في زاوية تناول هذا الموضوع، فقد ركّز كل تعريف على أمر دون آخر، إلاّ أنّ هذه التعريفات يجمعها في نهاية الأمر خيط واحد وهو الرابط بين قواعد المنهج الحجاجي وغاياته، كما يوضّح ذلك **بن عيسى أزاييط**: وهو الخيط الجامع بين العقلية والاقناعية في القضايا والأطروحات التي تساق حجاجيا، وهذا ما يؤدّي إلى مصداقية الحجاج ومشروعيته، كلّما احتاج المقام الحجاجي أو محيطه إلى تبرير مساطره الاستدلالية أو الاجرائية.

وهذا الرابط هو الحمل على الإقناع والتأثير في السّامع أو الخصم باستخدام التحليل العقلي، فالحجاج لا يكون فيما هو يقين إلزامي وإنمّا يكون فيما هو مرجّح ومحتمل، والأدلّة فيه لا تكون حاسمة، تثبت وتنفي بل هي حقائق متدرّجة، على الحجج ترجيح إحداها على الأخرى وذاك هو الحمل على الإقناع.